

" فأينما إجتمع إثنان أو ثلاثة باسمي، كنت هناك بينهم"

انجيل ربنا يسوع المسيح متى ٢٠/١٨

الخوري انطوان سركييس رجل الله

معاون خادم رعية كاتدرائية القيامة – في اللقاء التكريمي

المطيب في ٢١ حزيران ٢٠٢٢

بقلم البروفسور سليم الضاهر

العميد المؤسس لكلية الحقوق

في إحدى الجامعات الخاصة

رأيته لأول مرة , حيث يجب ان يكون. وكان ذلك في يوم الربّ، يوم احد في ايلول ٢٠٠٣، حيث كان يقيم الذبيحة الإلهية على مذبح الرب.

في ذلك اللقاء الأول، وعلى غير ما هو طبعي، احسست فوراً اني قريب منه. اذ أوحى اليّ يومها، ولا يزال، انه من رجال الله. وتوطدت معرفتي به، فرأيت ان الخوري انطوان يجسد التقوى واللفظ، والمعرفة العميقة بالإنجيل المقدس. كما يجسد التواضع الكبير، تواضع النبل، ويحمل في قلبه محبة الناس، كل الناس، وهو صاحب الشخصية المحببة. وهذه جميعها قيم انجيلية علمنا اياها ربنا والهنا يسوع المسيح.

الم يقل لنا في انجيله المقدس :

- "كونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمل".
- "فأنا وديع و متواضع القلب" (متى ٢٩/١١)
- "من يرفع نفسه ينخفض، ومن يخفض نفسه يرتفع" (لوقا ١٤/١١)
- "من اتضع وصار مثل هذا الطفل، فهو الاعظم في ملكوت السموات" (متى ٤/١٨)
- "لان ابن الانسان جاء لا ليعدمه الناس، بل ليعدمهم.." (مرقس ١٠/٤٥)
- الم يغسل ارجل تلاميذه، وهو الاله الكلي القدرة؟
- والعذراء مريم ام الله وامنا، في النشيد الذي يحمل اسمها، تقول عن الله تعالى :
"...نظر الي انا خادمته الوضيعة
..فبدد المتكبرين في قلوبهم وانزل الجابرة عن عروشهم
ورفع المتضعين" (لوقا ١/٤٦ - ٥٢)

هذه القيم الانجيلية وغيرها، التي نحن جميعاً مدعوون للالتزام بها كمسيحيين، هي التي تشدني إلى الكاهن والراهب، والراهبة والمطران، والمكرسة والمكرس، بشكل عام، خاصة متى جسدوها في حياتهم اليومية. طبعاً مع تأكيد محبتي الانجيلية لكل منهم، في جميع الاحوال.

لذلك، كان من الطبيعي ان ألبي و بفرح كبير دعوة الخوري انطوان لي، من موقعه كمرشد للجنة الثقافية، للمشاركة في عضوية هذه اللجنة. فأبونا انطوان ملتزم في قلبه وعقله وفكره، العمل، وبنبات، في حقل الرب، خاصة في اطار الثقافة.

وقضية الثقافة اولتها الكنيسة الالهية الكبرى التي تستحق. اذ باختصار كلي، بادرت الكنيسة ، وعلى خطى المسيح المعلم، الى التشديد على اهميتها في حياة المؤمنين. نذكر، على سبيل المثال، المجمع الفاتيكاني الثاني الذي عقد أولاً برئاسة البابا القديس يوحنا الثالث والعشرون، ثم البابا القديس بولس السادس، في الفترة ما بين ١٩٦٣ - ١٩٦٨. والبابا القديس يوحنا بولس الثاني خاطب منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، وهي اعلى مرجع دولي للثقافة، بتاريخ ٢ حزيران ١٩٨٠، في مقرها في باريس، مشدداً على الأهمية الكبيرة لدور الثقافة في العالم. وتكلم عن دورها في تاريخ بلده الاصلي، اي بولونيا، خاصة في اطار علاقاتها مع بعض جيرانها - المانيا في عهد هتلر، وروسيا أثناء وجود الاتحاد السوفياتي.

ولاحقاً أكد المجمع الماروني هذا الايمان بدور الثقافة.

هنا نرى انه من المهم جداً، الاستشهاد بما قاله الدكتور انطوان سعد، امين عام جامعة الحكمة سابقاً ، وامين عام مجموعة تيلي لوميار، وحالياً رئيس رابطة قدامى الاكليريكية البطريركية المارونية، عن العلاقة بين الكهنوت والثقافة. اذ بمناسبة حفل توقيع كتاب الابونا انطوان، الذي بعنوان "من اجمل ما قرأت من نصوص" الذي نظم بتاريخ 7 حزيران 2016، في هذه القاعة بالذات، قال الدكتور سعد: " في كتاب الخوري أنطوان سركيس الجديد - وهو الخامس في أسرة لما يحدد نسلها بعد - تتألق اكثر اهتماماته الثقافية المتماهية مع شخصيته، والتي تشكل مكوناً في دعوته الكهنوتية، اذ يرى في المهام التثقيفية والتعليمية والتوجيهية تكاملاً مع همّ الرعية وخدمتها، يرفد اولادها بما توفر من وزنات تعطي مواهبهم وقدراتهم قيمة معرفية مضافة.. "

والاخوات والاخوة الاعضاء في اللجنة الثقافية يعرفون حق المعرفة عمق التزام الخوري انطوان العملي، بالثقافة. فهو مثقف واسع الاطلاع، ونشر ستة كتب هامة ومتنوعة الحقول، باسمه واسم زوجته الخورية السيدة مادونا، وباللغتين العربية والفرنسية. هذا بالاضافة الى اسهاماته البارزة في الحوارات، واختياره مواضيع اباحث تتسم بالأهمية الكبيرة في حياة

الكنيسة والمجتمع. هذه المواضيع كان جميع الاعضاء في اللجنة مدعويين لدراستها، واختيار ما يشاؤون منها، وبالتالي تقديمها في اللقاءات الدورية الشهرية التي تعقدها اللجنة.

لا يتسع المجال هنا للكلام على مواضيع اباحات جميع الأعضاء ، مع انني كنت اتمنى ذلك. لذا، وبكل تواضع امام الله تعالى، وامامكم، اود القول انني شخصياً، وعبر السنين، اخترت عدداً من هذه المواضيع، واجريت اباحاتاً حولها. اذكر اليوم من بينها بالتحديد، ما كتبتة عن البابا فرنسيس ، والاب بيار (Abbé Pierre) في فرنسا، ومؤخراً المونسنيور ميشال الحايك. كما تشرفت وبفرح بالقاء كلمة في حفل توقيع كتاب الخوري أنطوان الذي بعنوان " كبار هذا العالم يحدثوننا " في 5 حزيران 2018.

واليوم كشهود للمسيح الاله، وللحق الذي هو ، يفرحني القول ان مسيرة ابونا انطوان في الرعية بشكل عام، وفي اللجان والجماعات العائلية التي اشرف على عملها ، وخاصة اللجنة الثقافية ، جسدت عملياً مضمون وصية المسيح المخلص الأولى، والتي يمكن ان نختصر المسيحية بها، عنيت بها المحبة، محبة الله، و محبته لنا جميعاً، ولكل منا، بدون تمييز، والتي لمسناها عبر اعماله وكلماته وارشاداته، اي باختصار، عبر دوره كمرشد للجنة الثقافية، والتي حصرت كلامي بعملها، في هذه الامسية. لقد احب الخوري انطوان كل الذين وضعهم الرب تعالى على دربه، وتعاون مع الجميع، اذا ومتى شاءوا. وعلى صعيد الرعية ككل كان باديا" امام المؤمنين، تعاونه مع خادم الرعية المونسنيور ايلي صفير. والمونسنيور ايلي في موقعه، وفي ضوء مسؤولياته الكبيرة، ناشط وفاعل على مختلف الصعد. وقد لعب الدور الاساسي في اقبال الكاتدرائية ومحيطها، الى ما وصلت اليه من جمال، اليوم. طبعاً بالاضافة الى متابعته للشؤون الثقافية والعائلية والروحية التي كان الخوري أنطوان مكلفاً بها.

وعلى مثال الراعي الصالح الذي يعرف خرافه، وخرافه تعرفه، كان الأبونا أنطوان يحرص على الاطمئنان عن كل منا، مع عائلتنا، ويسأل عنهم بالأسماء. وعلى سبيل المثال، هذا كان الحال معي. اذ ما من مرة رأيتة أو اتصلت بالأب أنطوان هاتفياً، الا وبادر إلى سؤالي عن صحة كل من زوجتي كارول، وابنتنا ماريان، ونجلنا منير، بأسمائهم.

في اللجنة الثقافية بقيت وجوه عزيزة منذ البدايات، وغابت وجوه عزيزة اخرى. وصبر ابونا أنطوان الى المنتهى. ومن يصبر إلى المنتهى يخلص. اليس هو ابن الكنيسة البار، التي صمدت عبر الفين من السنين ونيف، وبقيت حية و فاعلة، وفق مشيئة مؤسسها المسيح الإله، وبرعاية بابوات وكرادلة وبطاركة ومطارنة وكهنة ورهبان وراهبات...

وهي باقية إلى الابد، بمشيئة الرب يسوع.

حفظ الكاهن أنطوان سر كيس تعاليم المسيح في قلبه ووجدانه وعقله. وحمل كلام الله، البشرى السارة، الى البشر والناس، اينما حل، واينما مارس رسالة كهنوته.

عاش وعلم بالكلمة. وفي البدء كان الكلمة وكان الكلمة الله. وهو قام بذلك انفاذاً لوصية المعلم الالهي "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم...وعلموهم ان يعملوا بكل ما اوصيتكم به."

والأبونا أنطوان يتحدر من بلدة القديس الكبير شربل، اي بقاعكفرا. وقد تربى في كنف والدين تقيين، في بيئة انتشر فيها عبق القداسة، وشرب من ينبوع الحياة الذي شرب منه القديس شربل، قبل ان يلتحق القديس بدير الرهبة اللبنانية. والينبوع الذي اختاره حبيس عنايا كان ينبوع ماء حي، ومن يشربه لا يعطش أبداً.

وبقاعكفرا، حسب صحيفة " نداء الوطن" في عددها الصادر ١٠/٥/١٩٩٦، تعتبر كبلدة مأهولة، الاعلى عن سطح البحر. وأنا يفرحني ان اضيف، وعلى سبيل التمني، انها الاقرب إلى السماء.

ويفرحني شخصياً القول انني في طفولتي تعرفت على الاخ برنار حوشب، والاب فيما بعد، نسيب ابونا انطوان، الذي كان من عداد الرهبان والاخوة، في دير مار ضومط للأباء والكرمليين في مسقط رأسي القبيات. والاب برنارد يتصف بالتقوى والتواضع واللطف. وكان يعمل في صناعة النبيذ الطيب. وقد برع في هذا المجال. وكنا المغفور له والدي واشقائي وأنا، نكن له المحبة والتقدير. وطبعاً محبته قائمة في قلبي الى اليوم. وكذلك محبتنا لجميع الآباء الكرمليين، الراحلون منهم والأحياء، أينما كانوا في أديرتهم في القبيات وبشري وطرابلس، وبيروت والمعصرة، والذين منهم في العراق. ونؤكد دائماً فضلهم الكبير، وأيديهم البيضاء على أجدادنا وأبائنا، وعلينا، في القبيات وعمار، بشكل عام.

وعائلة الخوري أنطوان الكبرى، أو الدوحة السركيسية، كانت مشتتاً خصباً للدعوات الكهنوتية العديدة، منذ عقود طويلة. فبارك الله بجميع خدام الرب يسوع.

واود ان أؤكد هنا ان ما كتبتة في العالم ٢٠٠٩، عن مطران راحل عرف بالنبل والتواضع، ينطبق أيضاً على الخوري انطوان. اذ ان ما يطلبه ليس في هذا العالم، وليس من هذا العالم. فكنزه في قلبه، وقلبه منذور لالهنا يسوع المسيح، وملكوته.

جاهد ابونا أنطوان الجهاد الحسن، وحفظ الايمان. وقولي هذا مستوحى من كلام مار بولس.

كنتم القدوة الصالحة، والسراج الذي يوضع في مكان مرتفع ليستنير الداخلون، الساعون في طريق الرب، خاصة في ليل هذا العالم، الحالك السواد في حياة لبنان.

وإذا كنتم قد تركتم الرعية، انفاذاً للقوانين الكنيسة، فإنكم باقون في قلوب بناتها وابنائها، وضمائهم، وذاكراتهم ولقاءاتهم، وفي ما كتبتم وعلمتم.

وأنا، بفرح انجيلي، اتكلم في لقائنا في هذه الامسية. وأقول انه لقاء تحية ومحبة لشخصكم، للقيم الانجيلية التي تعيشونها، وبالتالي انتم مستحقون، مستحقون (axios). لكم منا كل المحبة. وهذا هو وسامنا جميعاً لكم. ونحن نصلي من اجلكم، ومن اجل عائلتكم، انتم والسيدة مادونا، وأولادكم، والمغفور لهم اهلكم. ونتمنى ان تذكرنا جميعاً في صلواتكم. والله تعالى الذي يعرف ما في القلوب والضمائر، وهو الخير المطلق، والعدل المطلق، يجازي كل انسان، حسب نواياه وأعماله. والمسيح الديان هو الرحمة التي انبثقت منها دعواته لنا في الانجيل، للالتزام بها وعيشها. مثلاً من الموعدة على الجبل: "هنيئاً للرحماء لانهم يرحمون" (متى ٥/٧) و "كونوا رحماء كما ان الله اباكم رحيم" (لوقا ٦/٢٦)

ونحن اليوم نصلي، ونتضرع الى الله، وعلى رجاء القيامة، وبعد عمر طويل، من اجل ان تسمعوا انتم، ونحن أيضاً، صوته يقول للذين عن يمينه " تعالوا، يا من باركهم ابي، رثوا الملكوت الذي هياه لكم منذ انشاء العالم". (متى ٢٥/٣٤).